شيء إليه فقير .

* * كما جاء أيضا فى (الدين الخالص) جـ ١ تحت عنوان:

الجائز فى حق الله تعالى

ما نصه الذى نريد كذلك أن نفهمه ، وهو أنه :

يجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه ، فهو متفضل بالخلق والاختراع والتكليف والإنعام والإحسان لا عن وجوب ولا إيجاب. فلا يجب عليه شيء مما ذكر . ولا يستحيل عليه تعالى فعل ما يضر عباده ، بل يجوز أن يفعله بهم بطريق العدل ؛ إذ للمالك أن يتصرف فى ملكه بما شاء . فهو الخالق للإيمان والطاعة والسعادة والعافية ، وسائر النعم فضلا منه وإحسانا . وهو الخالق للكفر والمعاصى والشقاوة والأمراض والفقر ونحو ذلك عدلا منه فى مملوكه ، قال تعالى : ﴿ ..وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (١) وقال : ﴿ وربك يخلق ما يشاء

---

(١) البقرة : من الآية ١٠٥ .

ويختار ... ﴾[1] وقال :﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[2] ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ..﴾[3]. وقال : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ... ﴾[4] وقال : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[5] : فيجوز فى حقه تعالى عقلا (تعذيب) المطيع عدلا منه ؛ لأنه الخالق للطاعة مع تنزهه عن الانتفاع بها . وإنما ينتفع بها العبد الذى وفقه الله لكسبها ، (وإثابة) العاصى فضلا منه ؛ لأنه الخالق للمعصية مع تنزهه عن التضرر بها ، وإنما يتضرر بها من خذله الله باكتسابها عدلا منه ، قال تعالى: ﴿ ... وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[6] ، وقال ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[7] ، وقال : ﴿ .. وَإِن تُبْدُوا

---

(١) القصص : من الآية ٦٨ .

(٢) البروج : ١٦ .

(٣) النحل : من الآية ٩٣ .

(٤) الأعراف : من الآية ١٨٦ .

(٥) الأنبياء : ٢٣ .

(٦) الكهف : من الآية ٤٩ .

(٧) فصلت : ٤٦ .

مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) وقال : ﴿ ... إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (٢) .

وفى الحديث القدسى : « يا بنى آدم ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلة ، ولا لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه ، ولا لجرّ منفعة ، ولا لدفْع مَضرّةٍ، بل خلقتكم لتعبدونى طويلا ، وتشكرونى كثيرا ، وتسبحونى بكرة وأصيلا . ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، وحيكم وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحركم وعبدكم ـ اجتمعوا على طاعتى ما زاد ذلك فى ملكى مثقال ذرة . ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، وحيكم وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحركم وعبدكم ـ اجتمعوا على معصيتى ما نقص ذلك من ملكى مثقال ذرة » .

---

(١) البقرة : من الآية ٢٨٤ .

(٢) إبراهيم : آخر الآية ١٩ ثم الآية ٢٠ .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) وهم الفقراء إليه وهو الغنى الحميد (ومن الجائز) رؤيته تعالى بالأبصار وغيرها خرقا للعادة بلا اتصال الأشعة به تعالى ولا كيفية ولا انحصار فى جهة ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢) ، (ومن الجائز) إنزال الكتب وإرسال الرسل مبينين للناس ما نزل إليهم مبشرين الطائعين بالجنة والنعيم المقيم، ومنذرين العاصين بالنار والعذاب الأليم ، قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ... ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

---

(١) العنكبوت : ٦ .

(٢) سورة القيامة : ٢٢و ٢٣ .

(٣) آل عمران : الآية ٣ وجزء من الآية ٤ .

(٤) الكهف : من الآية ١ .

(٥) الفرقان : الآية ١ .

﴿ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]

وقال : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[2] .

هذا : ومما تقدم تعلم أنه يجب على مكلف أن يعتقد أن اللّه تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته تعالى الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة . وأنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث ، تعالى الله عن ذلك .

* * وقد أشار صاحب الخريدة إلى الجائز فى حق اللّه تعالى، فقال :

وجائـــز فـــى حـقه الإيـــجـادُ

والتـرك والإشـــقـــاء والإســـعـادُ

ومعنى هذا البيت كما جاء فى (تهذيب شرح الخريدة) ، هو : (وجـائز فى حـقـه) تعـالى (الإيجـاد) أى إيجـاد الممكنات والإيجاد والخلق بمعنى واحد وهو تعلق القدرة بوجود المقدور ، فإن تعلقت بالحياة سمى إحياء ، وبالموت سمى إماتة ، وبالمرزوق سمى رزقـا ، وهـذه التعليـقات هى المسـماة بصفات

(١) النحل : من الآية ٨٩ .

(٢) النساء : من الآية ١٦٥ .

الأفعال ، وهى حادثة كما ترى ؛ لأنها عبارة عن التعلق التنجيزى للقدرة ، وهو حادث قطعا (والترك) أى ترك الإيجاد للممكنات، يعنى أن إيجاد كل ممكن أو تركه أمر جائز فى حقه تعالى إن شاء فعل وإن شاء ترك ، ومن ذلك بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ورؤية البارى تعالى ، وإثابة العاصى ، وتعذيب المطيع و (الإشقاء والإسعاد) أى إيجاد الشقاوة والسعادة ، وإنما نص عليهما وإن دخلا فى الإيجاد اهتماما بشأنهما .

* * فلاحظ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ وكن دائما وأبدا على صلة بهذا الإله العظيم عن طريق هذه المعرفة التى لابد وأن تكون على هذا الأساس العقائدى الذى وقفت عليه .

وذلك حتى تكون من هؤلاء الموحدين حقا ، وأعنى بهم الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكروا الله تعالى فذكرهم ، فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين ، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[1] .

(١) النور : ٣٧ .

وكانوا كذلك بسبب هذا من الذين عرفوا كيف يتضرعون إليه سبحانه وتعالى بشفافية إن دلت على شيء فإنما تدل على صدق إيمانهم بالله تعالى وصلتهم الوثيقة به .

وحسبى حتى تتضح الصورة لنا أن أختم هذا الموضوع بقصيدة للأستاذ الشيخ الفاضل : إبراهيم بدوى ، نشرت بمجلة (الوعى الإسلامى)[1] وفيها يقول كلاما توحيديا من أرقى وأعظم ما قرأت فى هذا المجال الذى لا يستطيع أن يرقى إليه إلا من تذوق حلاوة المعرفة ..

فإليك هذه القصيدة بنصها ، تحت عنوان :

مع الله

بـــك أستـجيـر ومـــن يُجيـر سـواكـا
فَـــأَجِرْ ضـــعيفا يحـتمى بِحِـمـاكـا
إنـى ضعيـف أستـعـين عـلـى قـــوى
ذنبـــى ومعصـــيتى ببـــعـض قـواكـا

(١) العدد : ٥٤ .

أذنبت ياربى وآذتنى ذنو

ب ما لها من غافرٍ إلاَّكا

دنياى غرتنى وعَفْوُكَ غَرَّنى

ما حيلتى فى هذه أو ذاكا ؟

لو أن قلبى شك لم يَكُ مؤمنا

بكريم عفوك ما غوى وعصاكا

يا مدرك الأبصار ، والأبصارُ لا

تدرى له ولِكُنْهِهِ إدراكا

أتراك عين والعيونُ لها مدًى

ما جاوزته ، ولا مَدَى لمداكا

إن لم تكن عينى تراك فإننى

فى كل شىء أستبين عُلاكا

* * *

يا منبـــت الأزهـــار عاطرة الشـــذا

هـذا الشـذا الفـواحُ نَفْـحُ شـَذاكا

يا مجرى الإنـــهار : ما جـــر يانـها

إلا انفعـــالة قطـــرة لنـــداكـا

رباه ، هأنذا خلصـت مـن الهـوى

واستقبل القلب الخـــلى هـــواكـا

وتـركت أنسـى بالحـياة ولهـوهـا

ولقيت كـــل الأنـس فى نجـــواكا

ونسيـــت حـبى واعتزلت أحبتـى

ونسيـت نفـسى خوف أن أنسـاكا

ذقـــت الهوى مرا ولم أذق الهوى

يـــارب حـــلوا قبل أن أهـواكـا

أنا كنت يـــاربى أســـير غـشاوتى

وبـدأت بالقـــلب البـصـير أراكـا

يـــا غافـــر الذنـــب العظيـــم وقابلا

للتـوب : قَلْـــب تائـــب ناجاكـــا

أتـرده وتـرد صـــــادِقَ تـوبـــتى ؟

حـــاشاك تـــرفض تـــائبا حاشاكـا

يارب ، جئتـك نادما أبـكى عـــلى

مـا قدمـــتْه يـــداى لا أتـــباكـــى

أنا لست أخـــشى من لقاء جهـنم

وعـــذابـها ، لكنـنى أخـــشاكـا

أخشى من العرض الرهيـب عليك يا

ربـى وأخـــشى منـــك إذ ألقـاكـا

* * *

يارب عـــدت إلى رحـابك تائـــبا

مستســلما مستمـسكا بِعـــرُاَكـا

مالى ومـا للأغنـــياء وأنـــت يـــا

رب الغـنى ولا يُـحـَدُّ غنـاكـا ؟

مالـــى ومـــا للأقـوياء وأنـت يـا

ربـى ورب النـاس ؟ مـا اقـواكـا !

إنى أويـت لكـل مـأوى فى الحيا

ة فـمـا رأيت أعـز مـن مـأواكـا

وتلمست نفسى الـسبيل إلى النجا

ة فلم تجد منجى ســوى منجـاكا

وبحثت عن سـر السـعادة جاهدا

فـوجدت هذا السر فى تـقـواكـا

فليـرض عنى الناس أو فليسخطوا

فلسوف لا أسعى لغـــير رضـاكـا

أدعوك ياربى لتـــغـفر حـــوبتى

وتعـــيـننى وتمـــدنى بـهـداكـــا

فاقبل دعائى واستجب لرجاوتى

ما خاب يوما من دعا ورجاكا

يارب هذا العصر ألْحَدَ عندما

سخرت يارب له دنياكا

علمته من علمك (النووى) ما

علمته فإذا به عاداكا

ما كاد يطلق للعلا صاروخه

حتى أشاح بوجهه وقلاكا

واغتر حتى ظن أنَّ الكون فى

يمنى بنى الإنسان لا يمناكا

أوما درى الإنسان أن جميع ما

وصلت إليه يداه من نُعماكا ؟

أو ما درى الإنسان أنك لو أرد

تَ لظلتْ الذرات فى مَخْبَاكا ؟

لو شئت ياربى هوى صاروخه

أو لو أردت لما استطاع حِراكا

يأيها الإنسان ، مهلا وانتد

واشكر لربك فضل ما أولاكا

واسجد لمولاك القدير فإنما

مستحدثات العلم من مولاكا

أفإن هداك بعلمه لعَجيبة

تَزْوَرُّ عنه وينثنى عِطْفاكا

إن النواة ولكترونات التى

تجرى يراها الله حين يراكا

ما كنت تقوى أن تفتت ذرة

منهن لولا الله قد قواكا

* * *

كل العجـــائب صنعة العقـل الذى

هو صـــنعـة اللـــه الـذى سـواكا

والعقـــل ليـس بمـدرك شـــيئا إذا

ما اللـــه لـم يكتـــب له الإدراكـا

للّـــه فـــى الآفـــاق آيـــات لَعَـ

ـلَّ أقلها هو مـا إليـــه هـــــداكـا

ولـــعـــل مـــا فى النـفس مـن آياته

عَجّب عُجَابٌ لـــو تـرى عيـــناكـا

والكـــون مـشـحـون بـــأسـرار إذا

حاولت تفـســـيرا لـــهـــا أعـياكا

قل للطبـيب تخطـفته يـــد الـردى :

يـا شـــافىَ الأمـراض من أرداكـا ؟

قل للمريض نجا وعوفى بـــعـدمـا

عجـزت فنون الطب : من عـــافاكا ؟

قل للصحيح يمـــوت لا مِـنْ عـلة

مَنْ بالمـنايـــا يـا صحيـح دهـاكا ؟

قـل للبصيـــر وكـــان يـحـذر حفرة

فهـوى بها : من ذا الذى أهـواكـا ؟

بل ســـائل الأعـمـى خطا بين الزحا

م بـلا اصطدام : من يقـود خطاكا ؟

قل للجنـــين يعيـش مـعـزولاً بلا

راع ومـرعى : مـا الـذى يرعـاكَا ؟

قل للوليد بكـى وأجـهـش بالـبكا

ءِ لـدى الـولادة : ما الذى أبكاكا ؟

وإذا تـــرى الثـــعبان ينـفـث سمه

فـاسـأله : مـن ذا بالسموم حشاكا ؟

واسأله : كـيف تعيـش يا ثعـبان أو

تحيـا ، وهـذا الســم يمـلأ فاكا ؟

واسـأل بطون النحل : كيف تقاطرت

شهدا ، وقل للشهد : من حـلاكا ؟

بـــل سائل اللبن المصـفى كان بَيـْ

ـنَ دم وفَرْثٍ : مـا الذى صَفـّاكـا ؟

وإذا رأيـت الحى يخرج مـن حـــنا

يا ميـــت فاسأله : مـــن أحـــياكا ؟

قـل للـهواء تحسه الأيـدى ويـخـ

ـفى عن عيون الناس : من أخفاكا ؟

قل للـنبات يجـــف بعـــد تعـهد

ورعـاية : مـن بالجـفاف رمـاكا ؟

وإذا رأيـت النبت فى الصـحراء يرّ

بُـو وحـده فـاسأله : مـن أرباكا ؟

* * *

وإذا رأيـت الـبـدر يســرى نـاشـرا

أنـواره فـاسـأله : مـن أســراكـا ؟

واسأل شعاع الشمس يدنو وهى أبـ

ـعد كل شىء : مـا الذى أدناكا ؟

قل للمرير من الثـمار : مـن الـذى

بـالمـر مـن دون الثـمار غـذَاكا ؟

وإذا رأيـت النـخل مشقـوق الـنوى

فـاسـأله : من يا نَخْلُ شَقَّ نَوَاكا ؟

وإذا رأيـــت النـار شـــب لهـيبـها

فـاسأل لهـيب الـنار : مـن أوراكا ؟

وإذا ترى الجـبل الأشـم مـناطحـا

قـمم السحاب فسله : من أرساكا ؟

وإذا تـرى صـخرا تـفـجـر بالميـا

ه ، فسله : من بالماء شق صفاكا ؟

وإذا رأيـت الـنهر بـــالـعـذب الـزلا

ل جرى فسله : مـن الذى أجراكا ؟

وإذا رأيـت البـحـر بالملـح الأجـا

ج طغى ، فسله : من الذى أطـغاكا ؟

وإذا رأيـت الليـل يغشـى داجـيا

فـاسـأله : من يا لـيل حاك دجاكا ؟

* * *

وإذا رأيت الصبح يُسْفِر ضـاحـيا

فـاسأله : من يا صبح صاغ ضُحاكا ؟

هذى عجـائب طـالمـا أخـذت بـهـا

عيـناك وانـفـتحـت بـهـا أذنـاكـا

واللـه فى كـل العـجائب مـاثـل

إن لـم تكـن لتـراه فهـو يـراكا

يأيها الإنسـان ، مـهـلا ، مـا الـذى

بـالله جـل جـلالـه أغـراكـا

حـاذِرْ إذا تـغـزو الفـضاء فـربّـمـا

ثَـأرَ الفـضـاء لـنـفـسـه فـغـزاكـا

أُغْزُ الفـضاء ، ولا تكن مستـــعمـرا

أو مســـتـــغـــلا باغـــيا ســـفّاكـا

سَخِّرْ نشاط العلم فـى حقـل الـرخـا

ء يصـــغ مـن الذهـب النضار ثراكا

سخـــره يَمْـــلأْ بـالسـلام وبالتـعـا

ون عـــالمـا متـنـاحـرا سَفّـاكـــا

وادفـع بـه شـر الحـياة وســـوءهـا

وامســـح بِنُعْـمَى نـوره بـؤْسَـاكـا

الـعـــلم إحـــياءٌ وإنـشـــاء ، وليـ

ـس العـلم تـدميـرا ولا إهـــلاكـا

فإذا أردت الـعلـم منحـرفا فـمـــا

أشـقـى الحـياة بـه وما أشـقاكـا !

* * وهكذا كـمـا رأيت ـ أخا الإسلام ـ يستطيع المؤمن الصادق فى حبه لله تبارك وتعالى أن يترجم حبه هذا ، بهذا التوحيد

الخالص الذى إن دل على شيء فإنما يدل على أن قائل هذا الفكر السليم قد عرف اللّه تعالى حق المعرفة ، وحسبه هذا ، لأنه كما يقول أحدهم :

من عرف الله فلم تغنه

معرفة الله فذاك الشقى

فلتكن إن شاء اللّه تعالى من أهل المعرفة حتى تكون من السعداء لا من الأشقياء .

واللّه ولى التوفيق ،،

خادم القرآن والسنة

طه عبد اللّه العفيفى